

الدكتورة : شهناز سمية بن الموفق .

قسم العقيدة ومقارنة الاديان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية -قسنطينة-الجزائر

السنة الثالثة ليسانس -عقيدة ومقارنة-

مقياس : الديانة المسيحية.

محاضرات في المسيحية

مجمع خلقيدونية 451م

1. سبب انعقاده:

من نتائج المجمع السالف، اعتبار أن للمسيح طبيعتين: لاهوتية وناسوتية، وهذا القرار لم يحسم النزاع بين الطوائف المسيحية المتخاصمة، لا سيما والفريق المعارض أخذ ينشر مذهبه حتى سافرت مبادئه إلى الموصل والفرات. وعلى الجهة المقابلة نرى بطريك الأسكندرية يخرج بمذهب جديد في تفسير طبيعة المسيح، فيقول: إنهما طبيعتان في طبيعة واحدة، إنهما اللاهوت والناسوت التقيا في المسيح، ولهذا عقد بطريك الأسكندرية بمجمع أفسس الثاني وقرر فيه مذهبه أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت.

فغضبت الكنيسة الكاثوليكية وسمت هذا المجمع بمجمع اللصوص، وعارضه بطريك القسطنطينية معارضة شديدة وانسحب من المجلس وأعلن عدم احترامه لقرارات المجمع، فأمر رئيس المجمع بحرمانه وطرده، وحدث لذلك شغب وصخب وعراك شديد وعنيف، وبرزت أفكار دينية حول:

1) صحة انعقاد مجمع أفسس الثاني.

2) مدى سلطانه التشريعي، ومدى الاحترام الذي تناله قراراته.

3) وقيمة القرارات الحرمانية التي يصدرها: هل تحترم وتعتبر نافذة المفعول، أو ملغاة؟

لكل هذا عم البيئة المسيحية نزاع وعراك وفوضى فكرية ودينية فأرادت ملكة الرومان وزوجها إنهاء ذلك الشغب، فدعت حكومتها إلى عقد مجمع في مدينة خلقيدونية في عام 451م.

2. عدد المجتمعين:

يقول المؤرخون المسيحيون: إن مجمع خلقيدونية المنعقد في أكتوبر عام 451 حضره (520) عشرون وخمسمائة أسقف، تحت إشراف زوج الملكة.

وقد ساد اجتماع هذا المجمع صخب وفوضى ولدته مشكلة اقتراح إخراج نيسكورس بطريك الإسكندرية بتهمة أنه عقد مجمع أفسس الثاني بغير إذن من الكرسي الرسولي المقصود به (بابا روما)، ولكن مندوبي الحكومة رفضوا هذا الاقتراح، فوقع بسبب ذلك ألوان عديدة من المشاجرات والمنازعات.

3. القرارات:

1) إن المسيح فيه طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة، وإن الألوهية طبيعة وحدها، والناسوت طبيعة وحده، التقتا في المسيح، وحول هذا ينقل ابن البطريق: "قالوا، إن مريم العذراء ولدت إلهًا، ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أن المسيح طبيعتان وأقنوم واحد، ووجه واحد".

2) لعن نسطور، ولمن ديسكورس، وكل من يشايعهم في مقالتهم.

3) لعن وإبطال قرارات مجمع أفسس الثاني الذي كان قد عقده ديسكورس بطريك الإسكندرية، والذي قرر فيه أن للمسيح طبيعة واحدة التقى فيها اللاهوت والناسوت.

4) نفي بطريك الإسكندرية ديسكورس إلى فلسطين.¹

4. الملاحظات:

1) تمسك كل فريق برأيه، وهدم آراء الآخر، فقد تمسكت الكنيسة المصرية بالأشكندرية ببطريكها، وبمذهبه، ورفضوا قرار المجمع الذي ينص على نفيه وطرده، ورفضوا: كل رئاسة دينية تبعث بها الحكومة الرومانية، وحول هذا يقول كتاب الأمة القبطية: "ولما طرق مسامع المصريين ما لحق ببطريكهم من الحرمان والعزل، هاجموا وغضبوا واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع، وأعلنوا رضاهم ببقاء بطريكهم رئيسا عليهم، ولو أنه محروم مشحوب، وأن إيمانه ومعتقده هو عين إيمانهم ومعتقدهم، ولو خالف فيهما جميع أباطرة القسطنطينية وبطاركة رومية، ولقد اعتبر المصريون أن الحكم الذي يصدر ضد بطريكهم ماس بحريتهم الوطنية مححف بحقوقهم السياسية، ولو أنه حكم ديني صرف".

2) ظهور مذهب جديد، وهو مذهب يعقوب البرازعي وفيه يدعو إلى مذهب الكنيسة المصرية التي ترى أن المسيح له طبيعة واحدة على خلاف ما قرره المجمع الرابع الذي انعقد في خلقيدونية عام 451م، وذلك من خلال القرن السادس الميلادي.

وبهذا فقد بدأ انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية، ويوجز لنا هذا الحال كتاب "تاريخ المسيحية في مصر" فيقول: "كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس، وديسكورس، ومعها الكنائس الحبشية، والسريانية والأرثوذكسية، تعتقد بأن الله ذات واحدة، مثلثة الأقانيم، أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني أي أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه جسدا واحدا، وحدة ذاتية جوهرية مترهة عن الاختلاط، والامتزاج، والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من الطبيعتين، ومشية واحدة".

بولس وموقفه من عقيدة التوحيد

لا يمكن لباحث في المسيحية أن يغفل عن ذكر بولس (شاؤول)، الذي رفته المسيحية المثلثة إلى درجة رسول، والكثير من الباحثين يعتبره المؤسس الحقيقي للمسيحية بعد المسيح²، ومن ثم فلا بد من ذكره حتى نعرف موقفه من عقيدة التوحيد التي سلمها المسيح لأتباعه من بعده،

أ-الفترة الأولى من حياته:

يقول عن نفسه معرفا: (أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كيليكية، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي عمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي)³. وهو بهذا يريد أن يعرف سامعيه بانه مذ نعومة أظفاره خاضع للناموس الذي نادى به المسيح، فهل هذا حق أم أن سيرته ستشهد على نقيض هذا الكلام؟ سنرى ويخبرنا شارك جنيبير عن طرسوس هذه قائلا: (إنها تقع بين هضبة آسيا الصغرى والشام. وعن الأفكار التي كانت تجلب إليها يقول: إنها كانت سيلا لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة)⁴.

أما عن العقائد التي وجدت في هذه المدينة طرسوس فإن ول ديورانت يحدثنا عنها قائلا: (إن طرسوس كانت كغيرها من المدن اليونانية، وبها الكثير من العقائد الخفية، فكان أهلها يعتقدون أن الإله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم، ثم قام من قبره، وأنه إذا دعي بإيمان حق وصحب الدعاء بعض الطقوس الصحيحة استجاب لهم، وأنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة)⁵.

وهكذا نرى المقطع الأول من حياة بولس مليئًا بالأفكار والعقائد المختلفة التي تلقاها من غير بني وطنه، فهو في الأصل يهودي إلا أنه تربى تربية غير يهودية، ولكنه استطاع فيما بعد - كما يقول ديورانت - أن يمزج مبادئ اليهود الأخلاقية بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة⁶.

- اعتناقه المسيحية:

كان بولس من ألد أعداء المسيحية كما تشهد أعمال الرسل⁷، وفجأة يعتنق المسيحية إثر حلم يقول إنه رآه فغير مجرى حياته كلها، وأصبح داعية المسيحية الأول، والمطوف بها شرقًا وغربًا والمتحمل في سبيلها كل أذى واضطهاد، ويسوق أعمال الرسل حكاية اعتناقه للمسيحية فيقول: (وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته برق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وشمع صوتًا قائلاً له: شاول لماذا تضطهدي؟ فقال: من أنت يا سيدي؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخي، فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل⁸). ودخل التلاميذ وهم يعرفون عداه (وحدثهم كيف أبصر الرب، وكيف جاء إلى دمشق باسم يسوع)⁹.

والحقيقة أن هذه القصة في ذاتها تنبئ عن عقل مريض تميز به بولس، يمكن أن يقال إن به مرض لا شفاء له. ويصف شارل جنبيير هذه القصة: (بأنها نتجت عن أزمة نفسية وانتهت بقصة الرؤيا ليسوع، وكانت هذه الأزمة نتيجة لصراع داخلي مبهم طويل)¹⁰. ونوافقه بأنها أزمة نفسية، ولكننا لا نوافقه أن نهايتها كانت الرؤيا، فبولس لم ير المسيح في حياته، فكيف به يراه بعد ذهابه؟ وكيف يقال إن الأزمة انتهت بالرؤيا؟ إن الأزمة بدأت في الحقيقة ببدية الرؤيا المزعومة، وكان من نتائجها ضياع ديانة المسيح، وإرساء قواعد المسيحية الجديدة باسم المسيح وحواريه، والشاهد على ذلك هو:

- أعماله مع الحواريين "الموحدين":

يقول موريس بوكاي¹¹: (بعد أن غادر المسيح الأرض، وحتى منتصف القرن الثاني - أي طيلة أكثر من قرن - كانت هناك معركة بين اتجاهين، أي بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البولسية¹² وبين اليهودية المسيحية، ولم يحل الاتجاه الأول محل الثاني، ولم تنتصر البولسية على اليهودية إلى بشكل شديد التدرج)¹³.

وهذا النص يكشف لنا النقاب عن أزمة بولس النفسية التي جعلته يكون طائفة غير موحدة تناهض كافة الموحدين بعد المسيح، وبغلت الجرأة ببولس أنه كان ينظر إلى الشريعة الموسوية التي احتفظ بها المسيح نظرة سخرية واحتقار. يقول الكاردينال دانيلو في مقال له: (إن اليهود المسيحيين الموحدين بسبب هذه النظرة انفصلوا تمامًا عن بولس،

لأن ديانة المعبد كانت أمورا بالية في نظر بولس وكان بولس، يرى أن المسيحية لا بد أن تتحرر من انتمائها السياسي والديني إلى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود)¹⁴.

وبناء على هذه النظرة يقول بوكاي: (إن اليهود المسيحيين كانوا يعتبرون بولس كخائن، وتصفه وثائق يهودية مسيحية بالعدو، وتتهمه بتواطؤ تكتيكي، ولكن اليهودية المسيحية كانت تمثل حتى عام 70م غالبية الكنيسة)¹⁵. وبهذا يتبين لنا مدى الصراع الذي نشب بين بولس والموحدين، والذي لم يكن النصر فيه حليفا لبولس، وكانت الغلبة فيه للموحدين "الحواريين".

-بولس وشهادات المؤرخين-

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة في موسوعته هذه: (إن بولس أضاف إلى اللاهوت الشعبي الموسوي بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار (سفر الحكمة) وفلسفة فيلون¹⁶، ومن ذلك قول بولس: (إن المسيح حكمة الله وابن الله الأول وبكر كل خليقة... فإن فيه الكل... والكل به وله قد خلق... والذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل... وليس هو المسيح المنتظر "المسيا" اليهودي الذي سينجي إسرائيل من الأسر، بل هو الكلمة التي سينجي الناس كلهم بموته)¹⁷.

وهذه الكلمات التي جمعها ديورانت من رسائل بولس، ووصفها بأنها مصطلحات غامضة جاءت إلى الناس من خلال أقوال فلسفية قديمة تكشف لنا عن هذا الفكر الذي تحول به بولس داخل العقيدة المسيحية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، توضح لنا مدى العناد الذي يحمله بولس ضد المسيح وأقواله، فالمسيح حينما يقول: (بعثت لخراف بني إسرائيل) نرى بولس يقول: (بل للناس أجمعين)، وحينما يقول المسيح: (أنا عبد الله ورسوله وإنسان وابن إنسان)، نرى بولس يقول: (بل أنت حكمة الله وابن الله الأول وبكر كل خليقة أنت الإله وفيك الكل والكل قد خلق لك وبك... إلخ).

وهو بهذا يريد أن يكون بالمسيح لا للمسيح عقيدة جديدة من نوع خاص، نوع فلسفي غريب على أتباع المسيح، لكنها تلبس ثوب المسيح ليتقبلها الناس فيما بعد. ولم يقتصر عمل بولس على مناهضته عقيدة التوحيد فحسب، بل حمل على شريعته وغير وألغى الكثير، وكل ذلك ليرضي أهل الوثن على حساب الديانة الجديدة. ويجمل الدكتور رؤوف شلبي موقف بولس من عقيدة المسيح وشريعته فيقول: (إن بولس هذا هو الذي أخرج ملة عيسى من ثوبها الطبيعي إلى ثوب جديد وهو الذي بدل وصف عيسى من ابن الإنسان الذي كان يطلقه عليه الحواريون إلى ابن الله، وهو الذي ألغى اختصاص ملة عيسى بشعبه اليهودي، وسمح للمشاركين عامة بالدخول

فيها، وأنه ألغى شريعة موسى في الختان وكثيرا من الشرائع، إرضاء للجدد من المشاركين وبقية المجتمع اليوناني ...
وأنه صاحب فضيحة الصلب والعشاء الرباني ... إلخ¹⁸.

وبعد: فهذا هو بولس الذي تتخذه المسيحية الثالوثية رسولا لها، وتؤمن بكافة أقواله ولا تعصي له أمرا، ولا أدري لما كل هذا هو الذي اعترف بأنه لم يقابل المسيح في حياته ولم يتلقى على يديه مبادئ المسيحية، وأقواله مسجلة لهذا الاعتراف في رسالته إلى أهل غلاطية: (وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح)¹⁹. وهو بهذا يريد أن يقول أنه تلقى التعاليم من يسوع المسيح مباشرة، ولكن قصة دخوله المسيحية - كما حكاها هو في أعمال الرسل - كانت بعد المسيح، ولا يقبل العقل السليم القول بأن المسيح أوحى إليه، وكل الذي استطاع أن يقوله كُتّاب النصارى المنصفون للبحث العلمي من أمثال شارل جنيبير أمّا أزمة نفسية، وليست قصة حقيقية، وقد أشرنا إلى ذلك آنفا، ومن ثم فلا يصح التمسك بأقواله، بل يجب ردّها، حتى لا تتماهى أقواله في البيئة الإنسانية.

إنقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية

-انقسام الكنيسة حول فهم الثالوث وما ترتب على ذلك:

لم يكن تقرير التثليث في المسيحية سنة 381م كعقيدة جديدة على الوجه الذي بيناه عملا سهلا بل كان عملا معقدا سبب كثيرا من الاختلافات والاتجاهات، لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب، بل بين الجماعات التي اتفقت على المبدأ واعتنقته، ثم عادت تفكر فيه، وعلى هذا كان عرض العقيدة الجديدة على العقل البشري مجالا للتفريق بين أصحابها.

أسباب الانقسام:

يرى مؤرخو الأديان أن أسباب الانقسام بين المسيحيين تنحصر في هذين السؤالين:

1. هل المسيح ذو طبيعة واحدة لأنه إله أم ذو طبيعتين: إلهية لأنه الله، وإنسانية لأنه ابن مريم (ومريم من

البشر)، فيكون بذلك اجتمع فيه اللاهوت والناسوت على حد تعبيرهم؟

2. هل الروح القدس منبثق من الأب أم من الأب والابن معا؟

وقد ولد السؤال الأول عقب إعلان نسطور رأيه في المسيح سنة 431م، أي بعد أكثر من نصف القرن من إعلان التثليث كعقيدة رسمية، فما هو مذهب نسطور في المسيح؟

مجمع خلكدونية سنة 451م وتحقق الانقسام الكنيسي:

ولحاجة في نفس أسقف روما قد تكون متمثلة في السيطرة على العالم الكنيسي بما فيه كنيسة الإسكندرية أخذ يسعى لعقد مجمع لناهضته نسطور وأشياعه هذه المرة، بل لناهضة رئيس كنيسة الإسكندرية (ديسقورس) الذي صادق أوطاخي، وأعلن في مجمع إفسس الثاني أن للمسيح طبيعتين في طبيعة واحدة أي اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت، فعقد مجمع خلكدونية سنة 451م. (وكان أول اقتراح طلبه مندوبو رومية، كما تقول مؤلفة كتاب "الامة القبطية" هو: انسحاب ديسقورس بطريك الإسكندرية، فلما ستلوا عن الباعث كان الجواب أنه لم يستأذن الكرسي الرسولي في عقد المجمع السابق، ويقصد بالكرسي الرسولي بابا القسطنطينية، ولكن المجمع قرر بقاء ديسقورس إلا أنه على غير كرسي الرئاسة ...) ²⁰.

نتائج المجمع:

وبعد مناقشات حادة بين جموع الحاضرين جاءت نتائج المجمع كالآتي:

1. للمسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة، فالألوهية طبيعة والناسوتية طبيعة التقيا في المسيح.
2. لعن ديسقورس وكل من يشايعه في مقالته ونفيه إلى فلسطين.
3. إبطال قرارات مجمع أفسس الثاني المنعقد بتاريخ 449م. ²¹

ولما كانت هذه النتائج موافقة لمزاج رئيس كنيسة روما رقص لها طربا، بيد أن المصريين حينما سمعوا بما وقع لرئيسهم ثاروا وغضبوا وأعلنوا رفضهم لقرارات هذا المجمع، ومن هنا دب الانفصال اليقيني بين أصحاب الثالوث. وانقسمت الكنيسة آنذاك إلى شرقية وغربية حول طبيعة المسيح ولذلك يقول المؤرخ بوري Bury: (هذه المشكلة استمرت قائمة تمثل سببا للخلاف الديني والتباعد بين الشرق والغرب). ويقول دوش Doch: (نلاحظ أن الخلاف حول تفسير بعض المسائل الدينية كان دائما من العوامل التي زادت من اتساع الفجوة بين الكنيستين الشرقية والغربية) ²².

تعقيب :

إن هذه الفجوة لا يمكن أن تمحي من جبين المسيحية، لأن السبب الرئيس في بقائها إن لم يتمثل في العوامل

النفسية لرؤساء الكنائس والمتضمنة حب السيطرة فهو يتمثل في عدم فهم الثالوث وحقيقته، لأن شرعية هذا الثالوث الذي اتخذ كعقيدة رسمية لم تكن بوحى من السماء، وإنما بقرارات أرضية قذف بها البشر في المحامع المسيحية، وأمر كهذا لا بد أن يحدث بسببه خلاف وسيستمر هذا الخلاف بين الكنيستين إلى قيام الساعة، لأن كليهما على باطل، ولو كان أحدهما على حق لظهر في يوم ما، لأن الله تعالى يقول: "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمعه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون"²³.

هذا وقد أطلق على الكنيسة الغربية اسم الكاثوليك والشرقية اسم الأرثوذكس²⁴.

وبذلك نرى أن:

1) مذهب الأرثوذكس:

يقضى بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشينة واحدة وذاتا واحدة أفنومية، اتحدت من الجسد، وصارت بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج، ولذلك فالعذراء تدعى بحق والدة الإله)²⁵. وعلى هذا المذهب تستقر عقائد كل من مصر والحبشة وأثيوبيا ومعظم مناطق إفريقيا، وهذا هو ما جاء في كتاب "تاريخ المسيحية في مصر": (كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقورس ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكسية تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني، أي أقنوم الابن، تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية متره عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا صار الابن المتجسد طبيعة، واحدة من طبيعتين ومشينة واحدة)²⁶.

2) مذهب الكاثوليك:

يقضى بأن للمسيح طبيعتين ومشيتين، فالمسيح أقنوم إلهي بحت، ولكن له ذاتين وكيانين هما الإله والإنسان، ومن الملاحظ على هذا المذهب أنه بني في شكله على مذهب نسطور الذي قال بطبيعتين في المسيح، إلا أن روح هذا المذهب الكاثوليكي تختلف عن مذهب نسطور، ووجه الاختلاف أن نسطور كان يرى بأن المسيح قد اتصل به اللاهوت بعد ولادته، وأفاض عليه برحمته ولذلك فمريم لم تلد إلا إنسانا، أما الكاثوليك فيرون أن مريم ولدت الاثنين جميعا، فهي قد ولدت يسوع الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، فهو طبيعتان ومشيتان، وأقنوم واحد، ولقد ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي (أن مذهب الطبيعتين أخذت به جميع الكنائس الأخرى)²⁷ أي الكنائس الغربية.

انقسام الكنيسة الأرثوذكسية

ويبدو أن الانقسام حول طبيعة المسيح اللامفهومة في العقيدة الجديدة لم يتوقف عند هذا الحد فحسب، بل بدأ يتجول داخل أصحاب المذهب الواحد، ولذلك رأينا تراجع بعض الصفوف في الكنيسة الأرثوذكسية عن مذهبها في المسيح.

يقول شحادة ونقولا حوري في كتاب "كنيسة أورشليم الأرثوذكسية": (إن هذه الكنيسة تعترف بقرارات حلكيدونية وهذا قولهما: (ومات بطرس أسقف القبائل العربية مخلفا إفسكولوس ثم يوحنا الذي صحب "يوفيناليوس" مع عدة أساقفة من فلسطين، لحضور الجمع المسكوني الرابع، الذي عقد في حلكيدون سنة 451م على عهد الإمبراطور "ماركيانوس" ضد هرطقة أفنيشيسي وديسيقورس، القائلين بأن في المسيح طبيعتين فقط، وكان عدد آباءه ستمائة، فعلموا أن في المسيح طبيعتان متحدتين بدون اختلاط ولا انفصال، وقد تقرر في هذا الجمع بطريكية أسقف أورشليم، وتأيدت سائر مطالبه المذكورة آنفا ... وتولى يوفينا ليوسى الكرسي الأورشليمي).²⁸

فتبين بهذا أن كنيسة أورشليم وهي من الكنائس الشرقية التابعة للأرثوذكس تقول بالطبيعتين. وهو بخلاف ما عليه بقية الكنائس الشرقية.

انقسام الكنيسة الكاثوليكية

وقد انقسمت أيضا الكنيسة الكاثوليكية القائلة بالطبيعتين يوم أن أعلن الأسقف يوحنا مارون سنة 667م مذهبه الجديد الذي يتضمن: (أن المسيح ذو طبيعتين: طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت في شخصه، ولكنه ذو مشيئة واحدة هي مشيئة الله)²⁹. إلا أن هذا المذهب لم يرق لكثير من البطارقة، فأوعزوا إلى الإمبراطور أن يجمع مجمعا عاما في زعمهم ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين، فعقد لهذا السبب مجمع القسطنطينية عام 680م وحضره نحو تسعة وثمانون ومئتي أسقف، وقد كان من عمله لعن وطرده كل من يقول بالمشيئة الواحدة، كما لعن وحرم وكفر كل من قال بالطبيعة الواحدة وقرروا الآتي كما جاء في تاريخ ابن البطريق: (نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الأب الإله في أقنوم واحد ووجه واحد يعرف تماما بناسوته تماما بلاهوته في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعالين ومشيئتين في أقنوم واحد ... إله وإنسان وبهما يكمل قول الحق، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبها فتعملان بمشيئتين غير

وقرروا لعن كل من يذهب مذهب مارون، إلا أن أتباعه تكاثروا عقب هذا القرار وكونوا لهم طائفة، وعنهما يقول محمد أبوزهرة: (إن هذه الطائفة مازالت متوطنة بجبل لبنان، ولها بطريك خاص، وإن كانت بالرياسة لبطريك روما)³¹.

من أي الأقاليم جاء انبثاق الروح القدس؟

هذا هو السؤال الذي جاء عقب السؤال عن طبيعة المسيح، وبسببه اتسعت هوة الخلاف بين أرباب الكنيسة، والملاحظ أن ميلاد هذا السؤال كان في القرن الثامن الميلادي، أي بعد أن عمل الفكر الوثني بمعوله في العقلية المسيحية عدة قرون، وقد أخذت بطاركة الكنيسة في الإجابة على هذا السؤال، فذهب فوسسيوس بطريك القسطنطينية إلى القول: (بأن الروح القدس انبثق عن الأب الأبنوم الأول وحده، وعلى العادة خالفه بطريك روما وقال: إن انبثاق الروح القدس كان من الأب والابن معا، فاجتمع نفر من الأساقفة في القسطنطينية سنة 869م للنظر في هذه المسألة بعد أن احتالوا على عزل فوسسيوس وأتوا بآخر يميل معهم ويرى ما يرونه)³²، ثم عقدوا مجعاً جاءت قراراته على النحو التالي:

1. إن انبثاق الروح القدس من الأب والابن معا.
2. إن كل من يريد المحكمة في أمر يتعلق بالمسيحية وعقائدها يرفع دعوى إلى الكنيسة بروما.
3. إن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التي يقوم بها رئيس كنيسة روما.
4. لعن البطريرك المعزول فوسسيوس، وحرمانه هو وأتباعه. وقد استطاع فوسسيوس هذا أن يعود إلى منصبه، ويردد رأيه في الروح القدس)³³.

والناظر في هذا القرارات يجد أن كنيسة روما الكاثوليكية كانت تملك آنذاك عضلات قوية بما تحكمت في الجمع، فجاءت قراراته موافقة لرأيها عكس الكنيسة الأرثوذكسية. هذا ويطلق على الكنيسة الكاثوليكية اسم الكنيسة البطرسية، وعنهما يقول صاحب سوسنة سليمان: (وهي تدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، وربما حق لها ذلك لجهة التفاسير التي تبني عليها أصولها التقليدية ونظامات الجامع وترتيبها وهي أيضا تأمر بما. وتمتد شوكتها على الخصوص في بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، وشعوبها منتشرة في أقطار الأرض)³⁴. ولأن الخلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس حول انبثاق الروح القدس لا يعتمد على دليل منطقي أو برهان ساطع لطائفة منهما

بات واضحا لدينا أن هذا الخلاف سيستمر إلى ما شاء الله، ولذلك يقول الأستاذ العقاد: (وقد استقر الرأي على ذلك مع خلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية في موضوع الروح القدس وعلاقته بالأب والابن، فإن الكنيسة الشرقية تقول: إنه يصدر من الأب وحده، والكنيسة الغربية تقول: إنه يصدر من الأب والابن على السواء)³⁵. وقد ترتب على هذا الانقسام في فهم الثالوث بروز عقائد وشعائر جديدة غريبة عن المسيحية الأولى، وقبل أن نتحدث عن هذه العقائد والشعائر نقف قليلا أمام هذه الآراء الكنسية التي دارت حول طبيعة المسيح وانبثاق الروح القدس.

هذا وقد ظلت الطوائف القائلة بالطبيعتين والمشيتتين متفقة في آرائها إلى أن نشب بينها في منتصف القرن التاسع خلاف بشأن الأقنوم الذي انبثق منه روح القدس.

فذهب بعض الطوائف إلى أن انبثاق الروح القدس كان من الأب وحده، وذهب بعضها الآخر إلى أن انبثاقه كان من الأب والابن معا.

وقد أخذت كنيسة روما بالرأي الذي يقول بانبثاق الروح القدس من الأب والابن معا، وذلك في مجمع القسطنطينية الذي عقد سنة 869م. واشتهر هذا المجمع باسم المجمع الغربي اللاتيني. (يقول د. شليبي: إنه عقد في روما -انظر: ص 200 من المسيحية).

وقد أخذ بالرأي الأول الذي يقول بانبثاق الروح القدس من الأب وحده بطريرك القسطنطينية الذي عقد بدوره مجمعا في القسطنطينية سنة 879م وأصدر هذا المجمع قرارا بأن روح القدس منبثق من الأب وحده، واشتهر هذا المجمع باسم المجمع الشرقي اليوناني.

وقد ترتب على ذلك انفسك الكنائس القائلة بالطبيعتين والمشيتتين إلى كنيستين رئيسيتين:

1. الكنيسة الشرقية اليونانية:

ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط، وكنيسة الروم الأرثوذكس، وهي التي تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الأب وحده، والمشايعون لها أكثرهم في الشرق وبلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب، وغيرها. ولهم بطاركة أربعة هم:

أ. بطريرك القسطنطينية وهو كبيرهم.

ب. يليه بطريرك الأسكندرية للروم الأرثوذكس.

ج. ثم بطريرك أنطاكية.

د. ثم بطريرك أورشليم.

وثمة مناطق تخضع للكنيسة الشرقية وتخضع لمجامع وأسقفيات مستقلة كالمجمع الروسي وأسقفية أثينا وأسقفية قبرص.

2. الكنيسة الغربية اللاتينية:

ويقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط، وكنيسة روما، والكنيسة الكاثوليكية، وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسيّة أو كنيسة بطرس، لأن أتباعها يعتقدون أن مؤسسها هو بطرس الرسول كبير الحواريين وأن بابواها خلفاؤه من بعده.

ورئيسها في الوقت نفسه رئيس دولة الفاتيكان، وهي التي تذهب إلى أن الروح القدس منبثق عن الأب والابن معا. والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم في الغرب في بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى كثيرة.

ويلاحظ أن في البلاد التي يتبع معظم أهلها كنيسة الروم الأرثوذكس يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون كنيسة روما ويرأسهم بطاركة كاثوليك خاضعون لرئاسة بابا روما، ويوجد في مصر منهم³⁶.

وتؤمن الكنيسة القبطية في مصر بأن روح القدس منبثق من الأب فقط. (أحمد شلبي: المسيحية، ص158).

وكذلك تقسم الأرثوذكس أصحاب القول بالطبيعة الواحدة إلى:

أ. الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة، وتسمى نفسها كذلك باسم الكنيسة الأرثوذكسية المرقسية نسبة إلى الرسول مرقس صاحب الإنجيل، لأن بطاركتها يعتبرون أنفسهم خلفاء لهذا الرسول، وقد استقل مسيحيو الحبشة أخيرا بعض الاستقلال في شؤونهم الدينية.

ب. الكنيسة الأرثوذكسية السريانية: التي يرأسها بطريرك السريان ويتبعها كثير من مسيحيي آسيا.

ج. الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية: وهي تتفق مع الكنيستين السابقتين في القول بالطبيعة الواحدة، لكن تختلف عنهما في بعض التقاليد والطقوس.

3. اليسوعيون والكاثوليك:

هم ليسوا مذهبا مستقلا بل هم دعاة للمسيحية، أسس دعوتهم فارس أسباني اسمه أجناسيوس سنة 1524م عقب أن جرح في الحروب بين المسلمين والأسبان في الأندلس، وأخذ أتباعه يدعون للمسيحية في ظل الكنيسة الكاثوليكية.

واعترف الباب بهم سنة 1540م فكثر أعضاؤها وازدادت قوتهم وكانت لها نظم عسكرية وتربوية صارمة، فهي تهتم بالتربية وتجعلها وسيلة لنشر المسيحية. ولذلك جذبت إليها أبناء الطبقة الراقية، لأنها نشرت كليات ومعاهد كثيرة في أنحاء العالم.

4. البروتستانت:

وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية أي أن أتباع المذهب يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمون بأنفسهم ولا يخضعون لفهم سواهم له. فالجميع متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب.

وهم بذلك يرفضون سلطة الكنيسة في الاحتفاظ بتفسير الكتاب المقدس لنفسها فقد دون سواها. (أي الإنجيل).

وقد ظهر هذا المذهب في ألمانيا في القرن السادس عشر على يد رجل اسمه مارتن لوثر، وقد اعترض أيضا على صكوك الغفران، وفرض الضرائب والأتاوات وتحريم الزواج على القسس والرهبان والراهبات ورفض العشاء الرباني، ومارتن لوثر هو صاحب هذا المذهب (1483-1546) وقد تبعه زونجيلي السويسري وكلفن الفرنسي. ويعتقد هذا المذهب كثير من بلاد العالم: مثل أهل ألمانيا والدانمرك وسويسرا وهولندا والسويد والنرويج وإنجلترا واسكتلندا وأيرلندا الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية.

وتنتشر البروتستانتية في السودان الجنوبي وأواسط أفريقيا (!!) والصين واليابان، ولا تختلف عن المذاهب السابقة في جوهر العقيدة من الإيمان بالتثليث وألوهية المسيح، ولكنها تنكر الأمور السابق ذكرها، بالإضافة إلى إنكارها لتقديس مريم وإلى تقديس الصور والتماثيل، كما تحرم الصلاة بلغة غير مفهومة للشخص المتعبد. الكنيسة الأرثوذكسية تتبع نظام الأكليروس: ويبدأ من البطريرك ويليه في المرتبة المطارنة قم الأساقفة ثم القسس أصحاب الامتياز ويسمون القمامصة، ثم القسس العادبون ويسمون القساوسة، وهؤلاء جميعا أصحاب الرأي والكلمة في كل ما يدور في الكنيسة³⁷.

وفي الغرب استعارت الكنيسة من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات مع أنها بدأت بداية عادية جدا لم يكن فيها سلطات على اعتبار أن المسيح سيأتي قريبا. ولكن بعد أن طال الانتظار صار لكل كنيسة نظام:

- 1) أصبح للكنيسة رجال منقطعون، كل منهم يسمى (Priest) أي قسيس أو رجل دين.
 - 2) أطلق على هؤلاء (Clergy) أي رجال دين للتمييز بينهم وبين العلمانيين.
 - 3) كبير القسس في كل مدينة يطلق عليه (Bishop) أي أسقف أو مطران.
 - 4) الأساقفة في المدن الرئيسية أطلق على كل منهم اسم (Archbishop) أي رئيس الأساقفة في دائرته.
 - 5) رؤساء الأساقفة بطريرك (Patriarch)³⁸.
 - 6) قبل القرن الحادي عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب: pope.
- ولكن في القرن الحادي عشر في عهد حريجوري السابع اختص بهذا اللقب رئيس أساقفة روما.